

الفصل الحادي والثلاثون

غليوم الثاني وبسمرك

دهاء غليوم — اكراهه بسمرك ان يستقيل



البرنس بسمرك مستشار الامبراطورية الالمانية حتى سنة ١٨٩٠

قضى الامبراطور غليوم الاول نحيبه في شهر مارس سنة ١٨٨٨ خلفه ولده
فريدريك الثالث وكان مريضاً ثم استأثرت به رحمة الله بعد ثلاثة أشهر خلفه ولده
غليوم الثاني . فكان هذا خلف جده مباشرة لان مدة حكم ابيه كانت كلها على
سرير المرض

على ان غليوم الاول نفسه كان قد ادركه الكبر وبلغ سن العجز (٩١)
فالتقى اعباء الحكم كلها على نفيه ومستشاره بسمرك من قبل خمس سنوات او ست
واستراح . بيد ان الامير غليوم - وهو الذي اصبحت بعد ذلك غليوم الثاني - لم ينظر
بعين الرضى الى استنابة رجل كان يراه أدنى رتبة ممن اوتوا الملك بالحق الالهي ...
وان يكن ذلك الرجل كونتاً وبرنسا . وان يكن بسمرك داهية المانيا ورجلها الحديدي .
ولكن ماذا يجدي التظلم ، وجده وابوه لا يزالان حيين يرزقان ؟ فهو لم يكن ليحسب
ان الحوادث ستوالى بمثل تلك السرعة وينفذي الامر اليه ما بين عشية وضحاها
اما بسمرك فكان ينظر بعين الاطمئنان الى هذا « النقي » - كما كان يسميه -
الكثير الحركة القليل الاختبار . حاسباً ان المستشارية سنظل لاصقة به ما دامت
فيه بقية رمق . بيد أنه مع شدة دهائه ابتلي بمن هو أشد منه دهاء ، فان غليوم
الثاني كان قد صرح لبعض أخصائه قائلاً كما قال لويس الرابع عشر : « أريد أن
أكون أنا وزيري الاول »

ثم بدأ غليوم الثاني رحلاته بعد جلوسه على العرش فزار أولاً ملوك وامراء الاتحاد
الاماني ثم شرع في زيارة العواصم الاوربية ، ضارباً عرض الحائط بنصيحة بسمرك
الذي كان يشير عليه بالتأني قائلاً : « لانحاول يا صاحب الجلالة ارضاء كل الناس
في وقت معاً . وان التوفيق بين الماء والنار لأهون من التوفيق بين انكاثرا وروسيا
فان كل كلمة تقولها في احدى عاصمتيهما تردد في الاخرى وتأول تأويل شتى . ولا
تال من وراء ذلك الا سمعة ملك ينطق لسانه بضد ما في ضميره » نصيحة حكيم
ولكنها ذهبت في الهواء

ثم رأى غليوم ان وزراء بلاطه والساسة يرتعدون فرقاً من بسمرك فشرع يغير
ويبدل فيهم من غير استشارة مستشاره . وخصوصاً في وزارة الخارجية .
قال بسمرك : « فساورني القاق لرؤيتي الرجال الا كفاء ذوي الخبرة يتخلون
عن مناصبهم لآخرين لا كفاءة عندهم ولا اختبار . لاسيما اني كنت ادري من كل
انسان بما تقتضيه الشؤون الخارجية بنوع خاص من الحكمة واصالة الرأي . فكان
لا يألّف جفني الكرى »
(٢٠)

وكان بسمرك في اواخر ايامه هدفًا لنوبات عصبية فأشار عليه الوزراء وبعض رجال البلاط بمراعاة صحته والذهاب الى احدى المدن الصحية انتجاعًا للعافية فأجابهم لمن الدسيسة . ولكنه لم يكذب يغادر برلين حتى بدأت الدسائس وكانت برمي الى تدبير خلاف بين الامبراطور ومستشاره يكون الخطأ فيه على ثانيهما ولم يكن ذلك بالامر الهين . لان الوزير الرواغ كان قد فطن لاكثر من حيلة

واتهمز غليوم الثاني فرصة غيابه فشر في الجريدة الرسمية رسالة كان قد وضعها لحل «مسألة العمال» فدهش الناس لرؤية نشرة غير مذيلة بتوقيع مستشار الامبراطورية وأراد بسمرك أن يحتج فلم ينصره وزراؤه . فهم قد رأوا انفسهم بين نارين فظلوا على الحياد . فوجه نظاره الى مجلس الراشستاغ فكان اعضاءه اكثر خنوعًا من الوزراء فتميز بسمرك غيظًا واندفع في الفخ المنسوب له فألقى خطبة بالغة الغاية من العنف يوم ١٣ مارس سنة ١٨٩٠ خاطب بها الامبراطور ووزراءه فأذكرهم بمنطوق قرار الوزارة البروسية سنة ١٨٥٢ ومنطوق دستور سنة ١٨٧١ وهو بموجب تلك النصوص « المسؤول الوحيد » ازاء الامبراطور عن المسائل الداخلية والخارجية . ثم صاح قائلاً : « بصفتي مستشار الامبراطورية ورئيس مجلس وزراء بروسيا لي وحدي الحق بمحادثة الامبراطور في الشؤون الادارية الاساسية . وعلى كل وزير ان يخبرني شفويًا أو كتابة في أي مشروع قانوني يريد أن يعرضه على جلالته بل ان كل رئيس مصلحة يريد ان يقدم للامبراطور تقريراً مباشرة عن شؤون مصلحته يجب عليه أن يطلعني عليه مقدماً ليتسنى لي أن أشهد المذاكرة اذا رأيت ضرورة ذلك »

وظن بسمرك ان خطابه هذا سيثير حنق الامبراطور فلم يكن شيء من ذلك لان غليوم لم يزد على أن قال له : هذه مسألة تقتضي البحث . فرفع اليّ تقريراً بها فأرى ... وفي اليوم التالي نشرت الصحف المعادية لبسمرك تطلباته وتوسعت فيها وانتقدتها بالسنة حداد

واتفق في اليوم التالي ان احد النواب في مجلس الراشستاغ وافي بسمرك في منزله وحادثه في بعض الشؤون . فلم يكذب يخرج من عنده حتى أوفد الامبراطور

الى المستشار رئيس ديوانه الخصوصي - لوقانوس - يندره بأن كل محادثة سياسية مع النواب يجب أن يخاطب الامبراطور بخصوصها مقدماً ، فأجاب بسمرك : قل لجلالته اني لا أعرف لاحد حقاً في ان يتحكم بي في اختيار زوار بيتي ...



الامبراطور غليوم الاول مؤسس الوحدة الالمانية

قال بسمرك : « فبينما انا في منزلي في اليوم التالي (١٥ مارس) وافاني غليوم مبكراً ، فقممت من سريري وارتديت ثيابي على عجل وذهبت اليه فقال لي بصوت مضطرب : ما معنى هذه المفاوضات مع ويندهورست . قلت ليس ثمت مفاوضات بل محادثة خصوصية فألح الامبراطور في تأييد حقه في الاطلاع مقدماً على كل مفاوضة تجري بين المستشار وزعماء الاحزاب في المجلس النيابي فأنكرت عليه دعواه وقلت انا لا أقبل أية مراقبة في ما يتعلق بعلاقاتي مع النواب . ولا اسمح لأي كان بأن يتكلم بلهجة الأمر في منزلي . فقال محتداً حتى ولو امرتك كذاك ؟ فقلت حتى

في مثل هذه الحالة يا صاحب الجلالة . فان أوامر امبراطوري تقف عند باب ردهة امرآي ... ثم قلت : ولولا عهد سبق مني للامبراطور غليوم الاول لما كنت باقياً الى الآن في خدمة حفيده . فاذا كنت مرعجاً لجلالتكم فانا مستعد ان أنسحب ... » فاستمعه غليوم يوماً ليرى رأيه وانصرف . اما بسمرك فالتخذه بهذا الصمت وظن الامر قد انقضى أو كادوا اذا بالجنرال هانكي يوافيه في ١٧ منه ويقول له : ان جلالة الامبراطور ينتظر ورود كتاب الاستقالة من سموكم ... فقال بسمرك وقد أخذ منه التأثير كل مأخذ : « قل لجلالته ان حالتي الصحية وخطورة استقالة مفاجئة في الاحوال الحاضرة تحولان دون تليقي الطلب حالاً . واني لأعتبر نفسي عابثاً بواجب الذمة ازاء الامبراطور والامة اذا غادرت منصبي في الظروف الحالية . لاني اذا فعلت اكون كاني البست الحقيقة حلة كاذبة من الوجهة التاريخية . وان للامبراطور حقاً في أن يصرفني في أية ساعة شاء ، أما أنا فتربأ بي نفسي عن أن أجعل حداً لمهمتي السياسية بعمل وخيم العاقبة في نظري على الشعب الالماني وعلى الامبراطورية ... »

فانصرف رسول غليوم من غير ان يفوه بكلمة .

وخشي الوزراء سوء العاقبة على انفسهم لان بسمرك كان آخر عقبة في وجه الاستبداد الامبراطوري فاذا سحق سحقوا كلهم معه فالتفوا حول المستشار بعد مناوأتهم له . وعقدوا العزم على السعي لدى الامبراطور والمستشار في تسوية الخلاف بالتي هي احسن ، واذا بوزير الداخلية دخل عليهم على حين غرة وقال لهم ان يكفوا انفسهم كل عناء فان الامبراطور لا حاجة له في نصائحهم ، وان نياته في ما يتعلق بالبرنس بسمرك لا تتحول

ولم يكن الامبراطور يتوقع هذه المقاومة من بسمرك ففعل صبره . فلما كان بعد ظهر ١٧ مارس اوفد اليه رئيس ديوانه الخصوصي لقانوس فأعرب للمستشار عن دغشة الامبراطور من ابطائه في تقديم استقالته فأجابه : « اني مستعد لتلبية رغبة جلالته ، ولكن توقيع طلب احالة على المعاش هو آخر مستند رسمي يصدر من وزير له بعض الشأن في تاريخ المانيا وبروسيا يقتضي مهلة . وان هذا بعض ما يجب عليّ

لنفسى والتاريخ الذي سيروي ذات يوم من غير شك السبب الذي صرفت من اجله «
وكان بسمرك يود المطاولة لعل الامبراطور يرجع عن عزمه ولكن لوقانوس
قضى على ما كان باقياً في صدره من الامل بقوله : « ان جلالته مع شكره لك
ما اتيت من الخدم في سبيل التناج والوطن يمنحك لقب « دوق دي لوانبورغ »
فقاطعه بسمرك وعلى شفثيه ابتسامه - واية ابتسامه - وقال لو أردت لكنت دوقاً
من زمن بعييد . فقال رسول الامبراطور : وأظن ان في امكاني أن اضمن لك ان
جلالته يصحب هذا اللقب بهبة مرضية .

فقطع بسمرك الحديث بقوله : لاشك عندي في مكارم جلالته ، ولكنني أرجو
من فضلك أن تقول للامبراطور ان ورثتي ماضياً جليلاً حافلاً بالآثر وهو يرثني
عن أن اختمه بالسعي في نيل مكافأة كافي ساعي يريد

فانصرف لوقانوس على أثر هذا الجواب الجافي وهو لم يظفر بطائل
ثم مرت ثلاثة أيام على هذا الحديث صرفها بسمرك في بسط الاسباب الملحجة
له الى الاستقالة . هذه الاسباب كان جعلها بسمرك جزءاً ثالثاً لكتاب مذكراته ،
وقد أوصى أن لا يطبع الا بعد وفاة غليوم الثاني . وقد كان أشيع ان مالكه مثله
للطبع بعد تنازل غليوم ولكننا لم تصل الى يدنا نسخة منه بعد . ومهما يكن فان
هذه المذكرة قدمت الى الامبراطور في ٢٠ مارس . قال بسمرك : وهي ضافية لم
يكن اتسع الوقت للامبراطور لقراءتها حين اوفد اليّ كلاً من لوقانوس وهانكي
يحملان اليّ كتاب استقالتى لتوقيعه . وأغرب من ذلك اني كنت قد ذكرت في
بياني ان استقالتى لم تكن لاسباب صحية ، ومع هذا اكرهت على توقيعك
استقالة معللة بضعف قواي «

وظل بسمرك حاقداً على غليوم الثاني الى آخر عمره ، ولما احسّ بدنو اجله
أوصى ان يكتب على قبره : « هنا نوى البرنس بسمرك الخادم الوفي للامبراطور
غليوم الاول »

اما غليوم الثاني فتناساء

الفصل الثاني والثلاثون

الازمة المراكشية - فضائح اولانبرغ

ان الحرب الاوربية الكبرى التي فوجئ العالم بها في سنة ١٩١٤ على حين غرة كانت لها اسباب ومقدمات ترجع الى ما قبل الحروب البلقانية وما ترتب عليها من احتكاك المصالح الروسية والنمساوية . على ان من تلك الاسباب البعيدة المسألة المراكشية التي اوغرت صدور الالمانيين فباحث الخواطر من جراء الفشل السياسي وكان ذلك مدعاة الى تولد حركة فكرية عدوانية تذرع بها حزب الجامعة الجرمانية للدعوة الى أخذ الاهبة فكانت الحرب من جراء ذلك

كانت الدول الاوربية ذات المصالح في مراكش في القرن التاسع عشر ثلاثاً اسبانيا وفرنسا وانكلترا . اما المانيا فلم تكن لها مصلحة ما ولكنها منذ نزعت الى السياسة الاستعمارية انصرفت الى دس الدسائس . بل ان الانكليز والالمان كانوا قبل سنة السبعين يتعاونون على مناهضة النفوذ الفرنسي في مراكش . فلما كانت سنة ١٨٩٦ استدعت الحكومة الالمانية معتمدها الكونت تاتنباخ وانقضى الامر . ثم حذت انكلترا حذوها بعد خمس سنين وتركت فرنسا مطلقة اليد في ذلك الصقع فكان عملها هذا مقدمة للاتفاق الولائي الذي عقدها بعد ثلاث سنوات (٨ ابريل ١٩٠٤)

وكان في سنة ١٨٩٠ ان الحكومة الانكليزية تنازلات لالمانيا عن جزيرة هلي غولند المجاورة لها في مقابل تنازل هذه لانكلترا عن بعض اراضيها في افريقيا والتخلي عن كل مطمع في مراكش . ثم اتفق في السنة التالية حصول ازمة صناعية كبرى في المانيا واشتدت الحاجة الى المواد الاولية فقام حزب الجامعة الجرمانية يتطلب حلاً لهذه المعضلة العويصة ثم عقد في شهر مارس سنة ١٩٠٤ مؤتمراً تقرر فيه دعوة الحكومة الالمانية الى احتلال الاقاليم الغربية في مراكش

وبينما الالمانيون لما بهم فوجؤوا بتوقيع الاتفاق الولائي الذي تخلت بموجبه فرنسا لانكلترا عن مصر.... وتحت انكلترا لفرنسا عن مراكش . وهكذا استوثق الصلح بين هاتين الدولتين الخصيمتين على حساب السوى ...



الجنرال مولتكي محرز النصر في الحرب السبعينية

قام انصار الجامعة الجرمانية وقعدوا على اثر توقيع هذا الاتفاق ثم طالب زعيمهم الكونت رفنتلو مستشار الامبراطورية البرنس دي بيلوف بالمجاهرة بخطته السياسية فصرح هذا على رؤوس الاشهاد « بانه مصمم على ان لا يجازف بالبلاد من أجل مراكش » . ولكن لم يكذب على هذا التصريح الصريح حين من الزمن حتى تناقلت أسلاك البرق خبر نزول غليوم الثاني على حين غرة في ميناء طنجه في الحادي والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٠٥ في هذه الزيارة كان غليوم الثاني مرتدياً بزة فلد مرشال انكليزي الزرقاء

والحمراء... وممتطياً جواداً مطهماً ناصع البياض - وقد حيتسه وهو ينتطي جواده ،
ولكن تحية عداء ، فتاة الزاسية ، بطاقة من الزهر مثانة الالوان تربطها عقدة سوداء
حدادية... رمت بها رأس الجواد

ولم تزد هذه الزيارة على طواف سريع في شوارع طنجه ، وتبادل بعض
الخطب . ثم عاد الامبراطور من حيث أتى والغيت الحفلات التي كان في النية اقامتها
ويعزى الى البرنس بيلوف انه قال «انه هو الذي بعث بالامبراطور الى طنجه» كما
يعزى الى غليوم انه صرح بأنه اكره على ما فعل بتأثير دي هولستين اعدى اعداء
فرنسا في الوزارة الخارجية الالمانية . وهو الذي كان يدعو الى مفاجأة فرنسا بالحرب
ولكن هذه الحرب لم يكن غليوم الثاني يريد لها . ولكن اصح من هذا وذاك أن
يقال ان هذه الحركة الامبراطورية انما كانت باغراء وتحريض انصار الجامعة الجرمانية
على ان غليوم الثاني حاول في اثناء اجتماعه بقيصر روسيا في بيوركه ان يستميل
بروسيا الى صوبه فلم يفاجح . وانتهى الخلاف على هذه المعضلة باستقالة المسيو
دلكاسه وزير خارجية فرنسا وعدو المانيا

وعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء (يناير - مارس ١٩٠٦) فكان الفشل فيه
نصيب المانيا مرة أخرى

وبينما كان رجال السياسة منصرفين الى حل المشكلة المراكشية نشأت في
المانيا فضائح داخلية كان لها مثل وقع الصاعقة او اشد ونعني قضية هولدن واولانبرغ
اما البرنس فليب اولانبرغ فكان ذا منصب سام في البلاط ، وكان له نفوذ
شخصي على الامبراطور لاحد له ، وكان في السياسة ذا حنكة ودهاء ، وتوقد ذكاء
حتى قالوا ان معظم الفضل في اكثر الاعمال السياسية التي امتاز بها عهد غليوم
الثاني منذ سقوط بسمرك الى تعيين البرنس دي بيلوف يرجع الى البرنس اولانبرغ .
بيد انه كانت له نقائص معينة ، وكان يشاركه فيها على ما يظهر غير واحد من الحاشية
الامبراطورية ، وكان مشهوراً امرها بين الخاصة والعامة لايجلبها احد غير الامبراطور
وهذا ما جعل موقفه في هذه القضية مثاراً للشبهات

هذه الفضائح كشف النقاب عنها الكاتب الجريء مكسيمليان هردن في

جريدته زونكوفت . على انه لم يكن مدفوعاً بعامل أدبي وإنما كان يرمي الى غرض سياسي مزدوج . فهو من جهة اولى اراد ان يؤدي بعمله هذا خدمة للبرنس دي بيلوف وهو من خصوم اولانبرغ ، ومن جهة أخرى كان لا يفتقر ، وهو احد انصار الجامعة الجرمانية المتطرفين ، لرجال الحاشية الامبراطورية تأثيرهم على غليوم الثاني في اثناء الازمة المراكشية سلمياً ، وعضده في حملته هذه ولي العهد - وقد قلنا انه كان حربياً متطرفاً - فحمل بنفسه اعداد جريدة زونكوفت الى ابيه وقال له : « انظريا أبتى اخلاق ذوي شورك . أفلا تضرب بيد من حديد ؟ »

وخذعت الظواهر الصحافة الاجنبية فأثنت ثناء جيلاً على « فضائل » ولي العهد . بينما هو لم يكن يرمي الا الى الغرض السياسي ألا وهو نشر الدعوة السياسية العدوانية الممهدة للحرب

وكان لهذه الفضائح شأن خطير يومئذ لاسيما بعد تدخل ولي العهد في الامر بشكل فاضح ، فلم يسع غليوم الثاني الا ان يتخلى عن اصدقائه وندمائه ولكن على كره . وجرت محاكمة صورية ثم احتج بوعكة خفيفة طرأت على المتهم الاول فاعتبر مريضاً واوقف التحقيق

وكان مكسيمليان هاردن قد ألتم في غضون ذلك مبلغاً طائلاً فعدل عن تجديد تصريحاته الاولى وحكم عليه حكماً صورياً وانتهت القضية بعد ان وصمت الذين كان لهم شأن فيها وصمة عار لا يمحي



الفصل الثالث والثلاثون

الجامعة الجرمانية والسياسة الكونية

قال الوزير الفرنسي هانوتي في تاريخه « تاريخ الحرب الكبرى » : « وضع البرنس دي بيلوف مستشار الامبراطورية الالمانية السابق كتاباً عنوانه « السياسة الالمانية » (طبع في اوائل سنة ١٩١٤) زعم فيه ان الحكومة الامبراطورية اوتيت مهارة خارقة في ترويج سياستها الكونية من غير ان تعبت بالسلم العام » ثم لم يكن غير بضعة اسابيع حتى كانت سياسة غليوم الثاني مدعاة لنشوب الحرب الكبرى . فكان كأنه وضع كتابه لتنفيذ عمله السياسي كله والتعريض بالسياسة الامبراطورية في وقت معاً ...

على انه لا مندوحة لنا عن اثبات لمحة عن تطورات هذه السياسة الكونية في ٢٨ مارس ١٨٩٧ اتقص مجلس الراشتاغ كثيراً من مطالب الحكومة لامبراطورية في ما يتعلق بالانشاءات البحرية . فقلد غليوم الثاني البرنس دي بيلوف وزارة الخارجية والاميرال دي تيرتزو وزارة البحرية فلم يلبث هذا ان وضع مشروعه البحري الكبير . ثم في العام التالي جاب غليوم الثاني انحاء سورية وصرح على قبر صلاح الدين « ان امبراطور الالمان صديق حميم للسلطان الذي يعتبره ثلاث مئة مليون مسلم خليفهم » فكان انه اراد ان يصيد الثلاث مئة مليون مسلم في شبكة واحدة ...

وفي سنة ١٨٩٩ نال من تركيا امتياز خط بغداد الحديدي . وقال في حفلة افتتاح ميناء ستين كلمته المشهورة « مستقبلنا على الماء »

ونال من الصين اقليم كياوتشاو . ثم تحدى فرنسا في ما يتعلق بحماية المسيحيين في الشرق وكان قد اعترف لها بها بسمرك نفسه في مؤتمر برلين .

اما تحديه في خطبه من ذكر البارود الجاف والسيف المشحوذ والنصر والظفر
وما جرى هذا المجرى فأكثر من ان يحصى

ورأت انكلترا انصراف المانيا الى تعزيز اسطولها بسرعة فائقة فأوجست خيفة
من سوء العاقبة فبادرت الى تسوية ما كان قائماً بينها وبين فرنسا من اسباب
الخلاف والتي هي أحسن ، وذلك بفضل تدخل الملك ادوار السابع ، وكان من جراء
ذلك عقد الاتفاق الولائي الذي اقام المانيا واقعدها

وقد قلنا ان المسألة المراكشية سويت في مؤتمر الجزيرة الخضراء على غير
ما تتمناه المانيا . حتى ان حليفتيها النمسا وايطاليا كانتا ضدها . فرضيت بهذه النتيجة
على كره . وبقيت الصدور موعرة والنار كامنة تحت الرماد ، فلما كانت حادثة فراري
الدار البيضاء (١٩٠٨) خيل الى المانيا انها فرصة سانحة فأرادت انتهازها ولكن
فرنسا اوضحت لها بجأش رابط انها سائرة على غير هدى فأذعنت ولجأت الى التحكيم
وفي غضون ذلك نشأت ازمة جديدة من جراء ضم النمسا ولايتي البوسنة
والهرسك - الذي اتفق وقوعه مع الانقلاب العثماني في وقت معاً - فاستنجدت
الصرب بالدولة الروسية فأرادت هذه ان تتوسط ، واذا بالمانيا قد اندفعت الى الميدان
للزود عن حليفتها فاضطرت روسيا الى الازعان لانها كانت لا تريد الحرب التي
كانت اقصى آمال الدول الوسطى

ثم سقط البرنس دي ييلوف وخلا المجال لانصار الجامعة الجرمانية فلم يتفوا عند
حد ، بل ان دولتي الوسط تقاسمتا الشرق من ادناه الى اقصاه فللنمسا البلقان ولالمانيا
ما بقي من سلطنة آل عثمان

وادركت روسيا الخطر فهرع القيصر تقولا الثاني الى بوتسدام (١٠ نوفمبر
سنة ١٩١٠) فضحى ما ضحى في سبيل المطامع الالمانية بتنازله عن انشاء فرع من
خط بغداد الحديدي وعقد مع المانيا اتفاقاً حددت فيه مناطق النفوذ الروسية
والالمانية في تركيا والمعجم

وفي السنة التالية (يوليو ١٩١١) تجددت الازمة المراكشية ثالثة بحادث
اغادير . فان المانيا عادت الى المطالبة بقاعدة حربية ومنطقة نفوذ في مراكش . فلم

يسع فرنسا الا أن تجاملها مرة أخرى فتنازلت لها عن قسم من مستعمرتها الافريقية (الكونغو) تقادياً من الاستهداف لحرب لا تبقي ولا تذر

على ان ضم النمسا ولايتي البوسنة والمهرسك هاج اطماع حليقتها ايطاليا فهاجمت طرابلس الغرب واحتلت الجزائر التركية في الارخبيل . ولم يكد يمسخ القلم من معاهدة الصالح التي عقدت في لوزان حتى هبت الدول البلقانية الاربعة - بلغاريا والصرب واليونان والجبل الاسود - فعقدت تحالفاً رباعياً وانقضت على تركيا محتذية حذو النمسا وايطاليا . هذه الحرب كانت لها غاية مزدوجة اما الاولى فالخلاص من السيادة التركية واما الثانية فاتقاء شر السيادة الجرمانية التي كانت تهددها

اما المانيا فوقفت ذاهلة امام انكسار تركيا . وكانت قد حسبتهما اصبحت لها لقمة سائغة فهبت لصيانة ما تبقى منها . وصدت بلغاريا عن الاستانة وادرنه فوات وجهها شطر سالونيك واذا بالجيش اليوناني قد احتلها على عجل . ورأت الصرب ان سالونيك والبلاد المقدونية اصبحت فوت يدها فانصرفن نحو الادرياتيک تتطلب منفذاً بحرياً بالاشتراك مع الجبل الاسود

وتطلبت رومانيا نصيباً من الغنيمة فأبته عليها بلغاريا فهاجتها وانتهز الاتراك الفرصة السانحة واسترجعوا ادرنة . ولم يكن غير اثني عشر يوماً حتى كان للجيش الروماني الفوز واصبحت رومانيا ذات الكلمة العليا في البلقان وفي عاصمتها عقدت معاهدة الصالح التي عجزت عنها الدول العظمى في مؤتمر لندن

وكان فوز الدول البلقانية وخصوصاً الصرب كسبم اصاب السياسة الجرمانية في الصميم . وكان ولي عهد النمسا الارشيدوق فرنسوى فردينان يأخذ الالهة ليضرب الصرب ضربة قاضية ، ولكن يد القضاء كانت اعجل من يده . فيينا هو ذاهب في سيارته يوم ٢٨ يونيه سنة ١٩١٤ الى المجلس البلدي في سراجيفو والى جانبه زوجته رماه صربي يدعى كبرينوفيك بقنبلة اصابته ذراعه فدفعها عنه بحركة خفيفة فكان انفجارها بعد ابتعاد عربته . ثم شهدا الاحتفال وعادا فاطلق عليهما طالب يدعى برنسيب الرصاص من مسدسه فأصيب الارشيدوق في وجهه وزوجته في بطنها ، فقضيا ، وامسك الجانيان



غليوم الثاني على منبر الوعظ وامامه الامبراطورة
هذه الجناية هي التي اتخذتها دولتا الوسط بعد ان رأتا ضياع امانيهما في البلقان
وفي الشرق وسيلة لاضرام جذوة الحرب الكونية التي التهمت الاخضر والمشم
ودارت الدائرة على صاحبي ذينك العرشين والله وارث الارض ومن عليها



الفصل الرابع والثلاثون

بعض رسائل غليوم الثاني

ثبت في هذا المقام بضع رسائل لغليوم الثاني يجد الباحث المدقق فيها وقد تداولت على بعضها سنون درساً مفيداً وذكرى ناجعة . اما اولها فترجع الى ثلاث وعشرين سنة وقد بعث بها غليوم الثاني من دمشق الفيحاء ، يوم زارها (١٨٩٨) الى القيصر نقولا الثاني آخر آل رومانوف ، وقد وجدت في خزائن موسكو ، قال غليوم الثاني :

عزيزي نقولا

ان البرقية التي تالفت بارسالها اليّ الى اورشليم قد شجعتني على كتابة بعض السطور اليك في ختام سياحتنا عن بعض المشاهد التي كان لها تأثير عليّ والافكار التي ولدتها في نفسي وان كان من الصعب عليّ وصفها

ان القدس كانت بالطبع محط انظارنا لما فيها من الاماكن المقدسة التي لها علاقة بالمخلص وان مجرد الافتكار في انه كان يتأمل هذه الهضاب نفسها ويعشي على الارض التي مشينا عليها يحمل القلب على الخفقان الشديد . ولكن لا بد لي من التصريح بأن ليس كل ما يراه المرء من الاماكن مما يقوي فيه هذا الشعور . فان الاعتقادات المسيحية المختلفة والمذاهب المتعددة قد حالت كثيراً دون بناء الكنيسة والاديرة والمعابد الخ فان الاماكن المقدسة القديمة التي تؤدي الى الابراج العالية او الكنائس الكبرى لا مناسبة بينها وبين الاسس الكبرى التي بنيت عليها

اني عائد الى الوطن وقد تبدل شعوري واصبحت اعتقد جد الاعتقاد ان قبر مخلصنا ليس وراء كنيسة القيامة التي تلوح ضئيلة على زخارفها بالنسبة الى المسجد العمري على بساطته

ان اهم واجمل مدينة شرقية هي بلا شك دمشق اما بيروت بمنازلها الجميلة

وحداتها الغناء واحراجها فانها تجعل المرء يحسب نفسه في مدينة في جنوب ايطاليا او في صقلية . اما فلسطين او الارض المقدسة فانها خالية الطرق من الاشجار والماء اما هنا (دمشق) فالاشياء تتغير كأنها يغيرها ساحر قهر بردى العظيم بحجي ماؤه الغياض والرياض ويجعل الطقس معتدلاً جميلاً والذي يتأمل المدينة من مكان شاهق يراها محاطة بالحدائق والبساتين والانهار على مسافة مياين مربعين فكأنما هي دار في وسط جنة وكل دار فيها وسط جنة فان الدور العربية الهندسة ذات الساحات الرحبة والزوايا الظليلة والعيون الصافية التي تتدفق من الرخام كلها مما توسع دائرة التصور والخيال حتى يحسب المرء انه في حلم . واني لو اتيك انك تسر كثيراً لو كنت هنا لانك تفهم الشرق وروح الشرق

اما استقبلنا فكان عظيماً لم يلاق مثله ملك مسيحي ابداً وقد احتفى بنا القوم فوق العادة لاني صديق سلطانهم وخليفتهم ولان سياستي معه سياسة ولاء ولطالما اشرت عليك باتباع هذه السياسة .

ان النعمة على الانكايز شديدة وبغضهم ينمو ويزداد . اما فرنسا فقد فقدت كل احترام قديم لها والقوم يحتقرونها عائناً . ولا بدع فهذه نتيجة تراخي الفرنسيين في شؤونهم الداخلية فانهم ما لبثوا ينفذون اوساخهم مميئاً وشمالاً حتى ملأوا اوربا كلها بالروائح الكريهة . ونظراً الى الرشوة المنتشرة في حكومتهم لا سيما في الجيش والكذب والفساد والفتن الرائجة سوقها في بلادهم ، فان القوم هنا ينظرون اليها نظرتهم الى أمة تتلاشى وتفتى . وعلى الاخص بعد انسحاب الفرنسيين المعيب من فشوده . ويحجم ماذا أصابهم بعد هذه الحملة الجريئة التي قام بها المسكين مارشان ؟ لقد كانوا في موقف منيع وفي استطاعتهم أن يساعدوا الكل في افريقيا الذين يحتاجون الى المساعدة القوية

ان الاخبار قد سقطت كالصواعق على الشعوب الشرقية حتى انهم لم يصدقوها وتقول الجرائد اذا كانت هذه الاخبار صحيحة فلا ريب ان الكونت مورافيا هو الذي نصح لفرنسا ان تخطو هذه الخطوة

وعلى الجملة فان هذه الحركة كانت ضربة اليمه على « أصدقائك وحلفائك »

والمسلمون يدعون حادثة فاشوده « سيدان الثانية » ولما حدثت القنصل الفرنسي
المسكين طفق يتذمر ويقول ان كل ما بناه وبناه الذين قبله قد تداعى الى الحضيض
وان فرنسا لن تنسى هذه الحادثة ابداً

هذه يا عزيزي نقولا أهم ملاحظاتي التي اكتبها اليك بحرية تامة بعد ان
رأيت بام عيني وسمعت باذني ما يجري في هذه البلاد . وقد كانت الحوادث
والمشاهد التي رأيتهامصادقاً لافكارى التي عرضتها عليك فان تركيا حية لا مية
ولا مريضة . كن على حذر من ان تمس شرف المسلمين الوطني او شرف خليقتهم .
محبة وسلاماً الى الكسيس
صديقك ونسييك
« وليم »

...

والرسالة الثانية بعث بها ايضاً الى نقولا الثاني في ثامن يناير سنة ١٩٠٩ على
اثر ضم النمسا ولايتي البوسنة والهرسك . قال غليوم :
عزيزي نقولا

اشكرك على رسالتك المؤرخة في ٢٥ ديسمبر (ك ١) التي ارسلتها الي مع تاتسيكيف
فقد سررت بها كثيراً لما اشتملت عليه من انباءك واني مع قرينتي نجزل الشكر على
تمنياتك الحسنة في السنة الجديدة . لقد صدقت في قولك ان السنة الماضية كانت
ملاى بالحوادث فان ضم البوسنة والهرسك ادesh الكل وعلى الاخص نحن .
لانا لم نعرف بمقاصد النمسا الا بعد معرفتك بها . وارى من واجبي ان الفت نظرك
الى هذا الامر . فان بعضهم يزعمون ان المانيا هي التي أغرت النمسا فاقدمت على
هذا العمل . هذا زعم باطل وتهمة كاذبة كالتى ظهرت في مسألة سكة حديد السجق
واني مسرور لان رسالتك تدل على ان الشعب الروسي قد عرف جلية الامر . أما
الحقيقة الواضحة فهي ما دامت النمسا قد خطت هذه الخطوة دون ان تستشيرنا
فاننا مهما ترددنا لا نقدر الا ان نقف بجانبها كحلفاء مخلصين وانت اول من يوافق
على هذا الاخلاص . . . ولكن هذا لا يعني اننا سنطرح صداقتنا القديمة مع روسيا

جانبا . فانا اليوم واثق اكثر من ذي قبل بضرورة اتحاد روسيا والمانيا وامكانه فان اتحادهما يحفظ السلام ودستور الملكية . وانت تعرف رأيي بهذا الخصوص كما تعرف باني مخلص في صداقتي واستطيع ان ابرهن ذلك بالحقائق فقد تحملت مسؤوليات من اجلك ايام كانت روسيا تجتاز في الضباب

ولما كنت اعرف قيمة الصداقة التي بين الامتين اعتقد انه من الضروري ازالة كل ما من شأنه ان يضر بهذه الصداقة ولا شك انك تحمل كلاي محملاً حسناً اذا انا صارحتك الحديث فقد صورونا في المدة الاخيرة باننا مرتاعون مضطربون من اتفاقك مع انكلترا على اسيا الوسطى . وقد ظهرت هذه الاشاعات عند ما زارك ادوارد السابع في ريفال . كلها اشاعات باطلة . فنحن نعرف ان روسيا في الوقت الحاضر تتحاشى الخلاف مع انكلترا ولذلك تلين لها كلما لانت . فضلاً عما تقدم لقد اكدت لي رسمياً مراراً انك لا تتفق مع انكلترا الا في المسائل الطبيعية العامة اما وانا حاصل على كلمتك فأني شيء آخر اطلب ؟ اننا مثلك نود تحسين علاقاتنا مع انكلترا وأنا أتوقع بذهاب الصبر زيارة الحال ادوارد السابع برلين في الشهر القادم وارجو ان يكون لهذه الزيارة نتائج مفيدة للسلام

ياعزيزي نقولا لا اتفاقك مع انكلترا بشأن اسيا الوسطى ولا اجتماعكما في ريفال أحدث قلقاً أو استياء في المانيا ولكن الذي ساءنا أمر آخر هو ابتعاد روسيا عنا بالتدريج في السنتين الاخيرتين ثم تقربها المستعمر من الدول التي لسنا معها على ولاء . فان الاتفاق الثلاثي بين فرنسا وروسيا وانكلترا قد امتلأ العالم بالحديث عنه كحقيقة واقعة والصحافة الانكليزية والفرنسوية لا تعرض لها فرصة الا اتهزتها لتبين للملأ ان هذا الاتفاق ضد المانيا . اما الصحافة الروسية فانها كثيراً ما رددت نغمات رصيفاتها

ثم ان روسيا اظهرت ريبتها بلا سبب بالمانيا في قضايا كثيرة مثال ذلك ما جرى في العجم والصين . اما المسائل الاخرى التي تهمننا كسكة حديد بغداد

فان روسيا لم تقف بها معنا في حين اننا كنا نعتمد عليها وهذا ما ادهشنا وربما زاد في التباعد بيننا

لا احتاج الى ان اؤكد لك ان هذه المسائل كلها تهمني كثيراً ومن واجبي ان الفت نظرك الى هذه الحالة كما هي بعينها والى ما تقود اليه قبل فوات الوقت ان ميل روسيا في سياستها الى التوكؤ على انكلترا وفرنسا ظهر في الازمة الحاضرة ولم تسأل حكومتك حكومتي عن مسألة البوسنة والهرسك الا بعد ان وضع بروغرام لعقد مؤتمر وصادق عليه في باريس ولندن وقد نشرت الصحف الفرنسية هذا البروغرام قبل وصوله اليها واخذت الصحف الانكليزية والروسية والفرنسوية تهتف للاتفاق الجديد وتقرع له الاجراس. ان الحالة لا تزال كما كانت عند ما زار اسفولسكي « ناظر الخارجية الروسية » برلين فحكومتي لم تتحول عن موقفها وهي تراعي النقط التي تتألف منها الآمال الروسية غير اننا لا نقدر ان نلح على حليفتنا أن توافق على بروغرام نعلم نحن انها لا تقبله . ناهيك عن كون البروغرام وضع بدون استشارتنا ففسر العالم الخارجي هذا الامر بما لا يرضاه . ولو جرت المسألة في غير هذا المجرى لكان في امكاننا ان نقترح على حكومتك ان لاتضع هذا البروغرام بل تدور المفاوضات بين الوزارات وهكذا نستطيع ان نخدم روسيا خدمات جلي ولو شاورتنا روسيا في الوقت المناسب لما كانت المسائل لابة ثوبها الحاضر ولا آلت الحالة الى ما هي عليه الآن من الخطورة .

واني لا ادري في الظروف الحاضرة كيف استطيع ان اكون وسيطاً بين الفريقين مع اني قد فعلت هذا الامر . واسمح لي ان اقول ان اعتقاداتك بالنمسا ومقاصدها قائمة مظلمة وانك قلق اكثر مما يجب . اما نحن فلا نشك ابداً في ان النمسا لا تريد ان تهاجم سربيا فان هذا لا يوافق عليه الامبراطور فرنسوى جوزيف الحكيم المتروي كما اننا لا نعتقد ان اهرتال « رئيس الوزارة النمسوية » يفكر في مثل هذه الخطط . انما من الضروري ان تتخذ حكومات البلقان الى السكينة وتكف عن الاستعدادات الحربية . ان هذه الحكومات الصغيرة مثقلة . وقل تشجيع من أي مركز كان يستفزها

ان الخطابات التي القيت في مجلس النواب السري كان لها وقع سيء عليّ لما فيها من المنازع الثورية . ان هؤلاء القوم كانوا معروفين عند العالم منذ ستة اعوام بأنهم « قتلة ملكهم »

آمل من اعماق قلبي ان تحل هذه المسألة على ما فيها من الصعاب حلاً مرضياً وانا مستعد لان أفعل ما في وسعي . خذ كلمتي عهداً

سيحمل هيشنر هذه الرسالة اليك واسأل المولى ان يهبك السلام والنجاح والسعادة في السنة الجديدة

فكتوريا ترسل معي محبتها الخالصة الى الكسندره واكون سعيداً اذا جاء النجاح كهدية الميلاد . صدقني اني صديقك الودود ونسيبك المخلص
« غليوم »

—...—

وهذه بضع رسائل تبودلت بين القيصرين على اثر مقتل ولي عهد النمسا وتأهب هذه الدولة للاتقضااض على الصرب . وهي مأخوذة عن الكتاب الابيض الالمانى :
من الامبراطور غليوم الثاني الى القيصر نقولا الثاني في ٢٨ يوليو الساعة ١٩ والدقيقة ٤٥ ليلاً

عرفت بمزيد القلق التأثير الشديد الذي احدثه في امبراطوريتك عمل النمسا فالتحريض المستمر في بلاد الصرب منذ عدة سنين ضد النمسا بلا تعقل ولا ذمة أفضى الى قتل ولي عهد النمسا فرنسوى فردينان

ولا تزال الروح التي أفضت بالصرب الى قتل ملكهم وملكتهم متملكة نفوسهم ولا شك بانك توافقني على انه يهمنان نحن الاثنين كما يهم كل ملك وذو سلطان أن يعاقب الذين تقع عليهم تبعة ذلك . واني لاعرف من جهة اخرى كم يعزويصعب عليك وعلى حكومتك ان تسيروا ضد الرأي العام وعكسه

واني بفضل الصداقة التي تربطني منذ عهد بعيد بأحكم الروابط بالامبراطور فرنسوى جوزيف سأبذل كل نفوذي على النمسا لاجلها على الاتفاق مع روسيا

جهاراً وبروح السلم والامان . وآمل من صميم فؤادي ان تؤيد مساعيّ لنزول
الصعاب القائمة الآن
« غليوم »

من نقولا الثاني الى غليوم الثاني في ٢٩ يوليو الساعة ١٠ صباحاً
يسرني أن أراك قد عدت الى المانيا في هذا الوقت الحرج . واني لارجو منك
كل الرجاء أن تعاونني . فقد شہرت حرب معية على أمة ضعيفة . فكان الاشتمزاز
عظيماً جداً في روسيا وشاطرت الشعب هذا الاشتمزاز . واني لاحس منذ الآن
باني بعد قليل امسي عاجزاً عن مقاومة الضغط عليّ واضطر الى اتخاذ الوسائل التي
تدعو الى الحرب

فلتلافي خطب الحرب التي ستكون اوربية ارجو منك باسم صداقتنا القديمة
بأن تبذل المستطاع لمنع حليفتك عن ان تتورط
« نقولا »

من غليوم الثاني الى نقولا الثاني في ٢٩ يوليو الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ مساءً
تلقيت رسالتك واني اشاطرك الرغبة في صون السلم الا اني لا استطيع ان اعتبر
الحرب التي شہرتها النمسا حرباً معية . لان النمسا توقن بعد الاختبار ان مواعيد
الصرب اذا لم تكن الا على الورق لا قيمة لها
وعندي ان عمل النمسا يجب ان يعتبر سعيًا لقيام الصرب بمواعيدها ، واني
موقن كل الايقان بصدق هذا الرأي لان حكومة النمسا تعهدت بانها لاتحاول غنم
أرض ولا تملأك شيء

وأرى أن الاتفاق بين حكومتك وحكومة فينا أمر ممكن وموموق ، والاتفاق
على الوجه الذي بسطته تؤيده حكومتني كل التأييد ، ولا شك بأن الذرائع الحربية
تعتبرها النمسا تهديداً قد يفضي الى الشر والبلاء الذي نريد دفعه ، ويجعل القيام
بهمة الوساطة التي القيتها على عاتقي بكل ارتياح ، اجابة لطلبك بحق الصداقة ، امراً
مستحيلاً
« غليوم »

من غليوم الثاني الى نقولا الثاني في ٣٠ يوليو الساعة ١ مساء
لقد نيط بسفيري ان يبلغ حكومتك الاخطار والنتائج السيئة التي قد تنتج عن
التعبئة . أما النمسا فكما قلت لك أمس لم تعي ضد الصرب سوى جزء من جيشها
فاذا انت عبأت الآن ضد النمسا كما هو ثابت محقق تصير المهمة التي نطها بي
صعبة بل مستحيلة . فالقرار الذي تقضي الحالة باتخاذ ماتي على عاتقك فانت الآن
مسؤول عن الحرب والسلام معاً
« غليوم »

من نقولا الثاني الى غليوم الثاني الساعة ١ مساء
اشكرك على ردك السريع . وفي هذه الليلة ارسل تاتيشف بالتعليمات . أما
الوسائل الحربية فانها تقرر منذ خمسة ايام لنحتاط بها مقابل استعداد النمسا . واني
لأمل أن هذه التحولات لا تحول دون مهمتك في الوساطة التي أعتمد عليها كثيراً .
فنحن بحاجة الى ضغطك على النمسا حتى تتفق معنا
« نقولا »

من نقولا الثاني الى غليوم الثاني في ٣٠ يوليو ليلاً
اني لأشكرك على وساطتك التي تؤماني بحل سامي . وانه يستحيل عليّ الآن
ايقاف الاستعدادات الحربية التي قضت بها التعبئة النمسية ونحن لانريد الحرب .
وما دامت المفاوضات دائرة مع النمسا لا تتخذ جيوشي خطة العداء . اني اعدك
بذلك بشرف وعدي واني لواثق بفضل الله وعنايته . وآمل بنجاح الوساطة في فينا
خدمة لاوطاننا ولسلم اوربا
« نقولا »

من غليوم الثاني الى نقولا الثاني في ٣٠ يوليو نصف الليل
بينما كانت وساطتي التي بذلتها اجابة لطلبك تعمل لدى حكومتك وحكومة
فيينا حركت جنودك ضد حليفتي النمسا الامر الذي جعل علي باطلاً بلا جدوى
على اني لم اقعده عن بذل الوساطة ولم اوقف مسيرها . الا اني تلقيت اخباراً أكيدة

عن استعداداتك الحربية على حدودي فتبعة تأمين بلادني تقضي عليّ بأن اقابل ذلك بالوسائل الدفاعية

ولقد بذلت كل ما بوسعي لحفظ السلم . فانا بعد الآن لا احمّل تبعة البلاء الذي يهدد العالم المتمدن . وبيدك أنت حتى الآن الحيلولة دون ذلك . ولا يهدد أحد شرف روسيا وقوتها فكان باستطاعة روسيا ان تنتظر نتيجة مساعيّ والصدّاقة التي اقسمت لجدي وهو على فراش الموت بحفظها لك ولوطنك كانت مقدسة في نظري ومكثت ولياً لروسيا في اخرج مواقفها وبالاخص في الحرب الاخيرة

والآن لا يمكن ان يصاب سلم اوروبا الا بواسطتك اذا قررت حكومتك ايقاف التأهب العسكري ضد النمسا والمانيا « غليوم »

فأجابه نقولا الثاني في اول اغسطس الساعة ٢ بعد الظهر اخذت تلغرافك . ولا ادري ما الذي يوجب عليك التعبئة . على اني كنت وددت ان احصل منك على مثل الضمانة التي منحتها لك من ان التدابير المأخوذة غير مقصود منها الحرب ، واننا نواصل مفاوضاتنا في ما يعود بالخير على المملكتين ويؤيد السلام المرغوب فيه من صميم الفؤاد . ولا اخال الا ان صداقتنا الوثيقة المبتلاة بهذه التجربة تتوفق بعون الله الى منع اراقة الدماء . وانني منتظر جوابك بملء الثقة « نقولا »

وهذا ما أجاب به غليوم الثاني في اليوم نفسه وفيه البرهان الاكيد على تعمد غليوم الثاني وحليفه الحرب :

اشكرك على تلغرافك . على اني اوضحت امس لحكومتك الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها مجانبة الحرب^(١) ومع اني طلبت ان يصل اليّ الجواب عند الظهر لم

(١) يريد تسليم روسيا تسليماً تاماً . وهي الغاية المنشودة من اول المفاوضات

يردني من حكومتك جواب ما حتى هذه الساعة من اجل هذا لم اجد بدا من
تعبئة جيشي

ان الوسيلة الوحيدة لاتقاء كارثة لاتعد احوالها انما هو ورود جواب سريع
واضح من حكومتك لايدع مجالاً للالتباس . واني مع الاسف لارى من المستحيل
الرد على موضوع تلغرافك (١) قبل وصول الرد المنتظر الي . كما اني ارى من الواجب
علي ان اطلب منك بكل صراحة ان تصدر الاوامر من غير ابطاء الى جيوشك بأن
لاتمس تخومنا أقل مساس كائناً ما كان (اه) « غليوم »

في اثناء ما تقدم اقترحت انكلترا بلسان وزير خارجيتها السرادورد غراي
عقد مؤتمر ينظر فيه في فض الخلاف القائم ما بين النمسا وروسيا والتي هي احسن
ولكن المانيا رفضت هذا الاقتراح بحجة انه ضرب من التحكيم وان عقد مثل هذا
المؤتمر لا يسوغ الا بطلب الدولتين الاختصاصيتين النمسا وروسيا . وان في رفضها
لدليلاً لا يقبل الرد على نياتها السوداء

ونختم هذا الفصل بتلغراف اخير لغليوم الثاني بعث به الى جورج الخامس
ملك انكلترا بتاريخ اول اغسطس . وحكاية هذا التلغراف ان البرنس لحنوسكي
سفير المانيا في لندن كتب الى مستشار الامبراطورية بتمن هلويج يقول : دعاني
السرادوار غراي الى التلفون وسألني اذا كنت استطيع ان اصرح باننا لانهاجم
فرنسا اذا نشبت الحرب بين المانيا وروسيا وظلت فرنسا على الحياد . فأجبتة بأنني
لا استطيع ان اتحمل مسؤولية مثل هذا التصريح «

وهذا ما كتب غليوم بهذا الصدد الى ابن خاله :

تلقيت مكاشفة حكومتكم المتضمنة عرض حياد فرنسا بضمانة بريطانيا العظمى .
على ان هذا العرض جاء مرتبطاً بالاستفهام عما اذا كانت المانيا تتعهد في مقابل هذا

(١) اي التعهد بعدم مباشرة هجوم

الشرط بعدم مهاجمة فرنسا . بيد ان ثمة اسباباً فنية تقضي بمواصلة التعبئة - التي صدر الامر بها بعد ظهر هذا النهار - على الحدود الشرقية والغربية حسب الاستعدادات المبتدأ بها . ولا سبيل الى اصدار اوامر مناقضة فقد وصل اليّ تلغرافك متأخراً لسوء الحظ . ولكن اذا كانت فرنسا تعرض حيادها بضمانة اسطول انكارترا وجيشها^(١) فاني اعدل عن مهاجمة فرنسا واستخدم جنودي في اماكن اخرى . على اني ارجو ان لا يبدو في فرنسا اقل تهيج في الافكار . فان الجيوش المرباطة على الحدود تتوقع صدور الاوامر التاغرافية والتافونية لتزحف الى الامام وتجاوز التخوم الفرنسية^(٢) وهذا ما أجاب به جورج الخامس

اخذت تلغرافك ويلوح لي انه حصل سوء فهم بخصوص الاقتراح الذي روي حصوله في اثناء محادثة ولأئمة دارت بين البرنس لخنوسكي والسرادوار غراي ، وكانا يتذاكران في الوسيلة التي يمكن بها ارجاء اشتباك الحرب بين المانيا وفرنسا ريثما يتوصل الى التوفيق بين النمسا وروسيا . وسيقابل السرادوار غراي البرنس لخنوسكي صباح غد ، ويوضح له ما كان من دخول اللبس عليه (اه)

جورج

وقد تمت المقابلة فعلاً وفي اليوم التالي (٢ اغسطس) نقل البرنس الى مستشار الامبراطورية النتيجة وخلاصتها ان اقتراح السرادوار غراي بشأن حياد فرنسا كان من غير سبق اتفاق مع هذه فاعتبر باطلاً واهمل وكان من جراء هذا الالتباس ان استنزل سر غليوم الثاني من بين فكيه



(١) كانه يتطلب ضمناً عقد محالفة انكليزية المانية لغل يد فرنسا
(٢) في هذا برهان آخر على ان اوامر الهجوم اصدرت من قبل اول اغسطس

الفصل الخامس والثلاثون

الحرب وتبعة غليوم الثاني

البحث في « التبعات الحربية » خصوصاً بعد حرب طاحنة كالحرب الكونية الكبرى تقانت فيها عشرون دولة من كبريات دول الارض وصغرياتها ، بحث طويل عريض لا يضطلع بعثه غير غول المؤرخين . وبعد مرور السنين . ولسنانحن من هذا في شيء . وانما الذي نرعى اليه . بعد الخلاصة التاريخية التي بسطناها . وبعد النماذج من رسائل غليوم الثاني التي نشرناها . ان نلم بشيء مما يقع على عاتق الامبراطور السابق من تلك التبعة الثقيلة . معولين في ذلك على بحث لاحد كتاب الفرنسيس اختتم به كتاباً له وصف فيه تطور سياسة غليوم الثاني تطوراً حربياً . قال المكاتب ما خلاصته :

« الفت اوربا غير الجرمانية منذ حادث اغدير (١٩١١) تنسم النسمات الحربية التي كان الهواء متشبعاً منها ومع هذا فلما كانت جناية سراجيفو ساورتها المخاوف . ويقال ان الامبراطور فرنسوى جوزيف لما كاشفته خباياه القديمة السيدة شران بمصرع الارشيدوق فرنسوى فردينان لم يزد على أن صاح : « ويلاه في كل يوم نكبة » ولكن العارفين يقولون ان الامبراطور لم يكن شديد الاسف على ولي عهده — والبرهان المأتم البسيط الذي اقيم له — وانما كان ميله وعطفه منصرفين الى الارشيدوق شارل الذي تولى الملك بعده ثم خلع بعد الانكسار

ومهما يكن فان قتيل سراجيفو كان ذا نزعة حربية محضة . وكان شديد الوطأة على الصقالة ومنهم الصربيون وهذا ما اهاب بهم الى الفتك به . فاتخذت الاحزاب العسكرية في المانيا والنمسا والمجر هذه الجناية وسيلة الى غاياتها فكان الانذار الذي بعث به الى الحكومة الصربية ملؤه التهديد والوعيد . على ان المانيا زعمت انها لم تطلع على صورة الانذار الا بعد ارساله وهذا غير صحيح فان السفير الالماني في

الولايات المتحدة أكد ان حكومته كانت قد وافقت مقدماً على ذلك الانذار وبرهان ذلك في وقوف المانيا الى جانب النمسا من اوائل الخلاف ، وتأبيدها اياها ضد الصرب ليتسنى لها ان تصل هي الى ما ترمي اليه من مهاجمة روسيا وفرنسا . فتبعة الحرب والحالة هذه يجب ان تقع على الشعب الالماني وعلى امبراطوره على حد سوى ، بل ربما كان الامبراطور اعظم ذنباً لانه كان في استطاعته ان يكبح جماح شعبه وان يضع حداً للمطامع النمسية بقبول مبدأ التحكيم الذي عرض عليه اولاً وثانياً (١)

أفكان غليوم الثاني يستبد برأيه كل هذا الاستبداد لولا تعمده الحرب التي كانت الاحزاب العسكرية الجرمانية تتطلبها من زمن ؟
ولقائل ان يقول اليس للنمسا نصيب من التبعة الحربية ؟

بلى . ولكننا لا نعتقد انها كانت تروم الحرب كيفما كانت الحال . قد يكون الارشيدوق فرنسوى فردينان ، حين اجتمع بغليوم الثاني صمم على شيء من ذلك ، ولكن في شهر يوليو سنة ١٩١٤ كان الارشيدوق قد قضى وكانت حاشية الامبراطور اقرب الى المسالمة من حاشية ولي عهده . ولولا تحريض المانيا واغراؤها لما كانت الحرب . ولكن النمسا مجرمة على كل حال لانها تقاوت وهي خمسون مليون نسمة على ضعيف ونعني الصرب وهي لا تتجاوز اربعة ملايين . فحكايتها معها حكاية الذئب مع الخروف . فولي العهد قتل في ارض نمسوية وقتله رعية نمسوية فما ذنب الصرب حتى تكون الكفارة عليها

اذن ما الذي اهاب بالمانيا وهي المحرضة الاولى على هذه الحرب والساعية اليها الى التفرير بنفسها وركوب هذا المركب الحشن ؟ اهابت بها عوامل شتى في مقدمتها المطامع والكبرياء ، اهابت بها الى الحرب لهفة الحزب العسكري الى رؤية النار

(١) اقترحت انكلترا عقد مؤتمر لفض الخلاف كما تقدم . واقترح نقولا الثاني احالة المسألة الى محكمة التحكيم في لاهاي . فكان نصيب الاقتراحين من المانيا الرفض

مستعرة . وان غليوم الثاني نفسه لم يجد في نفسه عزماً صادقاً على صد ذلك التيار فجاراه ، ولو اراد لما عصاه . قال صاحب كتاب « أنهم » J'accuse : « لماذا لم يكن لالمانيا على حليفتها النمسا في سنة ١٩١٤ النفوذ السامي الكبير الذي كان لها قبل عام ؟ لانها قبل عام كانت لا تريد الحرب - او اخرى ان يقال لم تكن اخذت لها اهبتها بعد ، اما في سنة ١٩١٤ فانها كانت تريدنا من غير بد »

على ان المدافعين عن غليوم الثاني يريدون ان يؤيدوا ان حكومته كانت اشد اجتراماً منه ، لانه في اثناء اشتداد الازمة كانت يتجول في بحر الشمال . على اننا لا نقول مع القائلين ان هذه الرحلة انما باشرها تمويهاً وذكراً للرماد في العيون ، ولكننا نقول انه لما عاد من رحلته لم يكن التوفيق بين النمسا وروسيا بمساعيه مستبعداً لو صحبه من قبله شيء من حسن النية . فهو كان يدعي انه الصديق الحميم لنقولا الثاني ولكنه بعد رجوعه الى برلين تناسى هذه الصداقة ومال بكليته الى انصار الحرب من وزرائه وسياسيه وقواده وفي طليعهم ولي عهده الذي كان يرى بذهاب الصبر دنو اليوم العظيم .

ثم مما يؤيد ادانة المانيا انك لا تجد في مستنداتها الرسمية عن اسباب الحرب مستنداً واحداً يوضح ان غليوم الثاني دعا حكومة النمسا الى الاعتدال . واعظم من هذا انه لم يرد على اقتراح القيصر نقولا احالة الخلاف الناشئ بين النمسا والصرب الى محكمة التحكيم في لاهاي . أليس في هذا دليلاً قاطعاً على تعمده الحرب . قال البارون باينس : « زعموا ان غليوم الثاني انما كان آلة في يد حزب يرى الحرب الوسيلة الوحيدة لبقاء سيطرته ونفوذه . قد يكون ذلك ولكنه في الوقت ذاته انما اصغى الى دعاة هذا الحزب لان آراءهم جاءت مطابقة لآرائه »

وقال الاب وتراي الانراسي : « ان غليوم الثاني انما كان مدفوعاً برأي عام أثاره دعاة الجامعة الجرمانية ... فان الشعب الالمانى هو الذي أراد الحرب ، وان طائفة المفكرين والعلماء وهم عندهم في مقام اركان حرب الجامعة الجرمانية هي التي أخذت الالهة لها على مهل . فكانت الصدمة القوية صادرة من اسفل . وربما كان غليوم الثاني يؤثر ارجاء الحرب الى ايام افضل . ولكنه لم يتهياً له ذلك ازاء اصرار

الاحزاب العسكرية والجمعيات الوطنية . فتبعه الحرب واقعة والحالة هذه على السواء
على القواد ، والعلماء ، ورجال الصناعات ، والتجار ، والعمال ، فكأنهم في الهوى سوى ...



اربعة اجيال من بيت هوهرورث

غليوم الاول وابنه فريدريك وحفيده غليوم الثاني وابن حفيده فريدريك غليوم

وفي الجملة فان غليوم الثاني اضرم جذوة الحرب ولكنه انما فعل باغراء صفوة
مختارة من رعيته لم تكن صادقة الطوية ولا بعيدة النظر ، فهو قد كان في اوائل
عهده بالملك ذا نزعات سلمية ، فاذا كان قد تطور في العهد الاخير فنزع الى السياسة
الحربية ، ولم يبذل اقل جهد ، منذ سنة ١٩١١ لاقتناء نكباتها ، فلأنه انقلبت اليه
هو ايضاً عدوى الحرب فلم يجد من نفسه عزماً صادقاً على مقاومة شعب فقد صوابه

الفصل السادس والثلاثون

غليوم الثاني في مناه

توقيع الهدنة — تنازل الامبراطور — وفاة الامبراطورة
اللياس احدى الراحيتين

في الثامن من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ تلقى المرشال فوش قائد جيوش الحلفاء
والى جانبه الاميرال وميس والجنرال واي غند الانكليزيان - وفد الهدنة الالماني
يرأسه الوزير ارزبرجر . فعرضت عليه شروط الهدنة ورفض المرشال فوش توقيع
القتال في الحال ثم امهل الوفد اثنتين وسبعين ساعة لاعطاء الجواب واستأذنت
الالمايون في ارسال مندوب الى المعسكر الامبراطوري فأذن لهم . ووصلت الشروط
الى الامبراطور والى المرشال هندنبورغ فقرأها ثم بعثها الى الحكومة في برلين .
قال فهرنباخ بعد ذلك : « كنت مع ابرت وشيدمان ولانسبرغ في قصر المستشارية
فيينا شولز يقرأ شروط الهدنة واذا بتعريف وارد من هندنبورغ يطلب فيه الرد
بالقبول في الحال ، لانه لم تعد له قوة على امساك جنوده ... فاذا لم تعقد الهدنة
اضطر الى التسليم بجيشه كله . فسأل ابرت : من منكم يقول برفض الهدنة ؟ فكان
سكوت رهيب ، واسأل الله ان لايريني بعد ساعة فاجعة كذلك الساعة » . وفي
الحال ارسالت رسالة لاسلكية بقبول الشروط المعروضة وكانت بتوقيع « مستشار
الامبراطورية » وكان توقيع الهدنة يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ الساعة الخامسة صباحاً
وتخلت مفاوضات عقد الهدنة ثورة داخلية في المانيا نشأت اولاً في همبورغ
وكيال وارتفعت في خلالها اصوات كثيرة بطلب خلع غليوم الثاني . ثم الف البحارة
المتعمدون لجنة سوفيت ورفعوا العلم الاحمر فاضطر البرنس هنري البروسوي ان
يتعلق بأذيال الفرار

وفي ٩ منه نادى شيدمان بالجمهورية الالمانية وبتنازل غليوم الثاني . وقد اكرهه

عليه الاشتراك يكون اكراهاً . وفرّ مع ولي عهده الى هولندا . على انه لم يوقع صك التنازل الا بعد ثلاثة اسابيع (في ٢٨ نوفمبر) في قصر امرونجن بعد ان قتل كل أمل بالعودة الى العرش

ولم تكن الحكومة الهولندية تتوقع وصول مثل هذا الضيف المفاجيء فيينا الكونت بنتنك صاحب قصر امرونجن ينتظر وفود رهط من اصدقائه وهو في حيرة من امره من جراء توقع غير واحد من خدمه ، قرع جرس تلفونه فاذا مخاطبه حاكم ولاية اوترخت الهولندية . وشدّ ما كان دهشه حين سمعه يقول له ان امبراطور المانيا غادر معسكره فاراً الى هولندا فأمسك به على حدودها اثنان من خفراء الحدود فأصبح من واجب الحكومة الهولندية ان تعد صرحاً لاقامته . وعليه فهي تلتبس من الكونت بنتنك معاوتها على هذه الضيافة بقبول الامبراطور في قصره يومين فقط . وحاول الكونت الاعتذار بتقيّد معظم خدمه بقيود المرض فلم يقبل له عذر . فالتبس الامهال الى الغد

وفي اليوم التالي وصل غليوم الثاني وصحبه الى قصر امرونجن ، ثم لحقت به الامبراطورة ، وظلوا في هذا القصر برهة طويلة ، ثم اتيح للامبراطور قصر جميل في بلدة « دورن » تحيط به اراض واسعة فاشتراه وانتقل اليه

ولقد حاول كثيرون من مخبري الصحف الغربية الكبرى ومتنسمي الاخبار لها مقاربة غليوم الثاني في العزلة التي اختارها بعد تنازله عن العرش فلم يكن الى ذلك من سبيل . وانما اتيح مرة لمصور انكليزي ان يرى غليوم الثاني يتمشى في حديقة قصر امرونجن ويأخذ صورته بحيلة تدرع بها اذا ختبا في نقالة كبرى موسوقة تبنّا اما بعد انتقال الامبراطور السابق الى قصر دورن فلم يتهياً لاحد من كتاب الصحف في ما نعلم أن يقابله

وكان غليوم الثاني اذا استوثق من عدم وجود اجنبي في دورن يخرج فيحادث العمال الذين كانوا يشتغلون له عند مدخل القصر . اما اذا اتصل به ان في البلدة اجنبياً فانه يحتجب عن الابصار . وكان له رجال اخفاء يترصدون كل قادم ويوافونه بخبره قبل ان تمر بضع دقائق على وصوله وربما كان للحكومة الالمانية نصيب

من هذه المحاذرة . لانها لا تود ان يكثر اللفظ حول مهمة وقعت اليها على كره . نعم ان غليوم الثاني وولي عهده ليسا اسيرين في هولندا ولكنهما في الوقت ذاته ليست لهما حرية مطلقة

وفاة الامبراطورة

في الاسبوع الثاني من شهر ابريل - نيسان من العام الماضي (١٩٢١) اشتدت وطأة الداء على الامبراطورة وهي في عزلتها مع الامبراطور فتناقصت ضربات نبضها وعسر عليها التنفس شيئاً فشيئاً . ولكن طبيبها المعالج وهو الدكتور هاختر خفف عليها الام الاحتضار بالحقن تحت الجلد الى ان كانت الساعة السادسة من صباح يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر المذكور ففاضت روحها الى خالقها وارتاحت من الامها واشجانها . وكان الى جانبها ساعة جادت بالنفس الاخير زوجها غليوم الثاني وولدها البرنس ادالبرت . ثم اقبل سائر اولادها (١) فودعوها الوداع الاخير . ونقلت جثتها الى بوتسدام حيث دفنت في مدفن الاسرة الامبراطورية . ورافق الامبراطور السابق وولي عهده الجثة حتى الحدود الهولندية فقط

والامبراطورة المتوفاة هي بنت البرنس دي سوندربرغ اوغستنبورغ الذي نازع كرستيان التاسع ملك الدانمرك دوقيتي شلسويك وهولستن على اثر اقتراض سلالة اولدنبورغ ب وفاة فريدريك السابع آخر ذكر منها . وقد أيده بسمرك يومئذ في مطلبه ، ولما اعرب غليوم الثاني (١٨٨١) عن رغبته في الاقتران بالاميرة اوغستا

(١) كل ابناء غليوم احياء يرزقون الا اصغر البنين وهو البرنس يواكيم الذي تعجل الموت انتحاراً في شهر يوليو سنة ١٩٢٠ بسبب اضطراب عقلي . هذا الامير كان قد تزوج في اوائل سنة ١٩١٦ بالاميرة ماري اوغستا على غير رضى من ابيه فلم يحضر حفلة زواجه . ثم شاع بعد ذلك ما يفيد عدم اتفاق الزوجين ورغبة الامير في الطلاق . فاذا صح ذلك فالاضطراب العقلي الذي اصاب به الى الانتحار يرجع الى سبب عائلي داخلي

فكثرت يا اشترط بسمرك ان تهر الاميرة بالدوقيتين المذكورتين فكان ما اشترط
وضمنا من ذلك اليوم الى الامبراطورية الالمانية على ما سبق لنا بيانه في غير هذا الموضع
وقد اشتهرت الاميرة المتوفاة بالرقه في معاملة ابنائها على عكس والدهم غليوم
الثاني (١) كما اشتهرت بتعصبها لمذهبها اللوثيري ، حتى يقال انها طردت من القصور
الامبراطورية ليس فقط منتحلي العقيدة الكاثوليكية بل ايضاً المنتهين الى مذاهب
بروتستانية مخالفة للمذهب اللوثيري . ومما يروى في هذا الصدد انه اتفق في
احدى الليالي الراقصة الحياه في القصر الامبراطوري ان سفراء الدول الاجنبية
وزوجاتهم كانوا ملتفين حول الامبراطور والامبراطورة كالحلقة المفرغة فذات
حين دنت رئيسة التشريفات من الامبراطورة وهمست في اذنها ان السيدة ليشمن
عميلة سفير الولايات المتحدة متأخرة بين رهط من الضباط ، وان من المستحسن
أن تشير اليها الامبراطورة بأن تتقدم ، فلم تزد هذه على أن أجابت رئيسة التشريفات
من فورها : « انها في المركز اللائق بها فلتبق حيث هي »

(١) قلنا كانت العادة في بيت هوهنزولرن تأديب الاولاد بالعصا . وقد
كتب موريس بوخ سكرتير بسمرك في كتاب مذكراته ان هذا الوزير سئل
مرة عن صحة هذه النظرية فلم يجب مباشرة واسكنه قصص على سامعيه النادرة
الآتية . قال : اتفق لاحد الامراء الصغار ان حاج لامر ما حنق مربيته عليه
قائمهات عليه بضرب موجه . . . على قفاه . ثم طفقت بعد ذلك تبدي أسفها مما
كان قائلة لصاحب السمو الصغير : تأكد ان هذه الضربات آلمتني بقدر
ما آلمتك . فسألها البرنس . . . غليوم (الذي اصبغ بعد ذلك غليوم الثاني) :
وهل آلمتك في الموضع ذاته . . .

أما الامبراطورة فلم تكن لها هذه القسوة . دخل غليوم الثاني يوماً على
اولاده في حجرة الدرس فوجدهم توبيخاً مرّاً حتى سالت عبراتهم ملء الشؤون .
واذا بالامبراطورة مقبلة موسعة الخطى فسمعت الامبراطور يصيح . اريد طاعة
عمياء . . . فانا هنا السيد . . . فأجابته زوجته . نعم انت السيد في مملكته
اما هنا فالامر للسيدة . . . وهي انا

وكان كل ذنب السيدة ليضمن الى الامبراطورة انها كانت يهودية المولد ، فلم تكن والحالة هذه منظورا اليها منها بعين الرضى

ولقد كان جزع غليوم الثاني بعد وفاة زوجته شديداً حتى اننا نكاد لانصدق النبأ الذي نقله روتر بتاريخ ٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ عن برلين من « ان جريدة زولي فيريلات تؤكد ان غليوم الثاني عازم على الزواج ، وانه اختار في ما يقال ارملة من دنزيك كان زوجها السابق ضابطاً ولقي حتفه في الحرب »

ولكن تنصافاً آخر بتاريخ ٢٩ منه ورد عن طريق امستردام وهو يؤكد الخبر ويقول ان الارملة المعنية تدعى مدام راشول . وقد نجز طبع هذا الكتاب قبل ان تثبت من صحة الخبر

ومما يؤيد تربيتنا ما رواه صديق لغليوم الثاني هولندي الجنس تربطه به مودة قديمة . هذا الصديق زاره في منفاه فأخذ غليوم يشكو اليه عذاب الوحدة ، ولوعة الوحشة ، ويبسط بين يديه ما يقاسي في مقر براه دظلماً ، بعد ان افل من سماءه نجم الامبراطورة التعسة التي كانت تعزيتة الوحيدة في بلواه حتى آخر دقيقة من حياتها قال غليوم : « حتى لم اعالج المستحيل وأطمع في الرجوع الى المجد والصولة ، وأنا أشعر ان الذراع الذي كنت أتكى عليه في أشد ساعات الكتابة والاعياء قد طوي عليه الكفن وسطاً عليه الفناء ... لقد تراكت على رأسي المصابب فما تركت في فؤادي شعرة سوداء ، ولكنهما كانت أشد وطأة على عاتق « الرفيقة المرحومة » فجالت رأسها بالمشيب ، وان اكيل الزنبق الذي وضع على نعشها يوم دفنها لم يكن اشد بياضاً من هيبة ذلك المشيب ، فاعتبر يا صديقي ان امبراطور المانيا وامبراطورتها هما اللذان كفرا عن ذنوب المانيا كما يقولون اذا كان لها في الحقيقة ذنوب

» تأكد ايها الصديق اني اذا قد لي أن أدعى الى عرشي ثانية ، فاني اطميل التفكير قبل أن أعطي جوابي ، ان التاج حمل ثقل ، وأثقل ما يكون على جباه غصنتها المموم

» لقد ذقت حلو الحياة ومرها ، وتنقلت بين هناء الوجود وشقاءه ، فعفني ذلك

كله ان نهاية الطريق الآخرة الصالحة ، وان الرجوع الى الله هو الحكمة بالذات
وان ما عند الله خير وأبقى ، وعلى هذا فان الصلاة تعزيقي بعد ضياع كل تعزية ،
وها اني على رأى منك ومسمع اجثو واصلي الى الله الخالق الجبار
« عرفت غليوم أيها الصديق يوم كانت خوذته اللامعة تنطح السحاب ، فهل
الرجل الواقف امامك الآن هو ذاك الفارس المقنع الذي به أبرقت السماء وأرعدت
الارض ، ان غليوم لم يعد غير أسير منفي كما تراه ، وغداً اذا ذبلت الاكاليل على
ضريحه فلا تنس أن تركع وتصلي الى جانب الحفرة التي يضجع فيها الامبراطور
المائت الكبير (اه)

